السياسة الدينية للملك ثيودوريك تجاه اليهود في مملكة القوط الشرقيين(٤٧٤-٥٢٦م)

دكتوره

سها محمد سيد حسن المراكبي

مدرس بكلية الآداب – جامعة الفيوم

الملخص العربي:

تأسست مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا بمساعدة الدولة البيزنطية بعد أن تمكن ثيودوريك الملك القوطي من القضاء على أدوآكر وإنهاء مملكته، وقد جاءت هجرات القوط الشرقيين إلى إيطاليا في شكل هجرات جماعية حيث اصطحب ثيودوريك معه الأسر كاملة أثناء زحفه نحو الأراضي الإيطالية بغرض الاستيطان وليس الاستعمار. وقد أعلن ثيودوريك نفسه ملكًا وليس إمبراطورًا وحكم بصفته نائبًا عن إمبراطور الشرق. وحافظ ثيودوريك على إقرار السلام داخل مملكته وأقرّ مبدأ العدالة والمساواة، كما أقرّ سياسة التسامح الديني؛ فرغم اعتناقه المسيحية مع قومه على المذهب الآريوسي، لم يتعرض للرومان الكاثوليك أو لكنائسهم. ولم يتوقف تسامحه الديني عند المسيحيين المخالفين لمذهبه فحسب، بل امتد ليشمل اليهود أيضًا. فقد كفل لهم حياة هادئة وشملهم بحمايتهم وحماية معابدهم. وتوضح هذه الدراسة كيف شمل الملك ثيودوريك اليهود بعطفه وتسامحه وكيف جنى القوط الشرقيون ثمار سياسة ثيودوريك الدينية تجاه اليهود، وذلك من خلال دراسة خطابات الملك ثيودوريك لليهود ولم تتوقف الدراسة عند توضيح سياسة ثيودوريك الدينية تجاه اليهود من خلال الخطابات فحسب، وإنما تناولت تحليل الخطابات وكشف ما تحمله في تناياها.

الكلمات المفتاحية:

ثيودوريك، القوط الشرقيون، اليهود، يطاليا، العبيد

Abstract

The Kingdom of the Ostrogoths was established in Italy with the help of the Byzantine state after Theodoric, the Gothic king, had managed to eliminate Odoacer and his kingdom. The migrations of the Ostrogoths to Italy came in the form of mass migrations, because Theodoric took all the families with him when he marched towards Italian lands for the purpose of settlement, not colonization. Theodoric declared himself king, not emperor, and ruled as vice-emperor of the East. Theodoric maintained peace within his kingdom and endorsed the principle of justice and equality, as well as a policy of religious tolerance. Notwithstanding his conversion to Christianity with his people on the Arian doctrine, he was not exposed to the Roman Catholics or their churches. Not only did his religious tolerance extend to Christians who dissented from his doctrine, but it also included Jews. He guaranteed them a peaceful life and protected them and their temples. This study aims to delve into how King Theodoric sympathized and tolerated the Jews, and how the Ostrogoths reaped the fruits of Theodoric's religious policy towards the Jews by thoroughly studying and analyzing King Theodoric's speeches to the Jews.

المقدمة:

شكلت القبائل الجرمانية جزءً مهمًا من الشعوب التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية، وأخذوا يهاجمونها منذ منتصف القرن الثاني الميلادي. وقد قامت الممالك الجرمانية على انقاض الإمبراطورية الرومانية الغربية عقب سقوطها عام ٤٧٦م، وتُعد مملكة القوط الشرقيون واحدة من الممالك المهمة التي قامت في ايطاليا وترجع أهميتها في كونها مملكة مسيحية آريوسية على أرض يسكنها شعب مسيحي كاثوليكي، فلم يكن ذلك بالأمر الهين أبدًا.

حظيت الممالك الجرمانية بوجه عام على اهتمام الباحثين، ولكن تمركز اهتمامهم دائمًا على الجوانب السياسية. لذلك؛ اهتمت هذه الدراسة بجانب جديد ألا وهو الجانب الديني، وخصت بالاهتمام السياسة الدينية للملك ثيودوريك مؤسس مملكة القوط الشرقيين تجاه اليهود. وقد وقع الاختيار على اليهود بوجه خاص لتمركزهم الفعلي في ايطاليا ودورهم البارز في تاريخها على مر العصور رغم أنهم يمثلون أقلية وسط شعبها المسيحي الكاثوليكي.

وقد تناولت الدراسة ما يلي: التعريف بالملك ثيودوريك وتأسيسه لمملكة القوط الشرقيين في إيطاليا، ثم انتقلت إلى أحوال اليهود في إيطاليا قبل حكم القوط الشرقيين وسياسة الملك ثيودوريك تجاههم خلال فترة حكمه. كما تناولت الدراسة مقارنة موجزة لأحوال اليهود في ظل مملكة القوط الشرقيين وأوضاع نظرائهم في مملكة القوط الغربيين ولاثبات مدى عتدال الملك ثيودوريك في سياسته الدينية تجاه اليهود.

الملك ثيودوريك Theodoric (٤٧٤-٥٢٦م):

هو ابن الملك ثيوديمير Thiudimer (٤٧٠- ٤٧٤م)، تم إرساله إلى القسطنطينية عام ٤٦١م في سن الثامنة كرهينة لضمان تنفيذ القوط الشرقيين لبنود اتفاقية عام ٤٥٦م، والتي جددها معهم الإمبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) عام ٤٦١م.[١]

عاد ثيودوريك إلى موطنه عام ٤٧١م وهو في الثامنة عشر من عمره، ثم أصبح ملكًا على القوط الشرقيين عام ٤٧٤م ليشكل القوط باعتلائه إزعاجًا للإمبراطورية في عهد الإمبراطور زينون Zenon (٤٧٤- ٤٩١م)؛ الذي فكر في صرف أنظار القوط الشرقيين عن أراضيه؛ عندما وافق على اقتراح ثيودوريك –ملك القوط– بالتوجه نحو إيطاليا[٢].

وعليه زحف القوط الشرقيون بزعامة ملكهم ثيودوريك نحو إيطاليا عام ٤٨٩م؛ ليدخلوا حروبًا مستمرة مع أدوآكر Odoacer[٣] استمرت قرابة ثلاث سنوات. حينما انتهت عام ٤٩٣م

بمقتل أدوآكر ونهاية مملكته في إيطاليا ليبدأ ثيودوريك في إرساء دعائم مملكة قوطية جديدة في إيطاليا(٤).

حكم ثيودوريك إيطاليا تحت سيادة إمبراطور الشرق(٥)، وتم الاعتراف به ملكًا على إيطاليا عام ٤٩٧م من قبل الإمبراطور، ولُقب بـ "الملك فلافيوس ثيودوريك" Flavius Theodoric، وعن نظام حكمه فقد أدرك ضرورة وجود نظامين للإدارة لفترة من الزمن؛ لصعوبة إخضاع الرومان للقانون القوطي أو العكس، ولذلك فقد عامل الرومان وفقًا لقوانينهم الرومانية، في حين عُمِل القوط وفقًا لقوانينهم ونظمهم من قِبل الكونتات القوط الذين أقامهم ثيودوريك على أقاليم إيطاليا المختلفة، كما اكتفى بإصدار القرارات دون سن القوانين، فضلًا عن إصلاحاته الداخلية للطرق والمصارف واهتمامه بالزراعة(٦) مما جعل عهده فترة ازدهار للقوط الشرقيين.

أما عن سياسته الدينية، فقد اتبع ثيودوريك سياسة التسامح الديني مع الرومان رغم اختلاف مذهبهم عن القوط الشرقيين؛ فبينما اعتنق القوط الشرقيون المسيحية على المذهب الآريوسي اعتنقها الرومان على المذهب الكاثوليكي، ولم يمس كنائس الكاثوليك أو ممتلكاتها بضرر، كما نعم اليهود بحكم عادل، وفترة من الهدوء والاستقرار في ظل دولته(٧).

أحوال اليهود في إيطاليا قبل القوط الشرقيين:

تمركزت الجاليات اليهودية في إيطاليا منذ أقدم العصور، وتواجدوا في الكثير من المدن أهمها: روما Rome والتي تُعد أقدم مركز لليهود هناك ونابولي Napole وميلان Milan وجنوة Genoa.(٨) وقد خضع اليهود للقوانين الرومانية التي سنها الأباطرة الوثنيون والمسيحيون على حد سواء باعتبارهم –اليهود– مواطنيين رومانيين(٩)، وقد حظر على اليهود التنقل أو الاستقرار في غير مدنهم الأصلية بموجب القوانين الرومانية، التي الزمتهم بتأدية الخدمات العامة الاجبارية داخل مدنهم.(١٠)

وخلال القرنيين الرابع والخامس الميلاديين تم استبعاد اليهود من دائرة المناصب العامة داخل الإمبراطورية، وصدرت عديد من القوانيين الممنهجة لمنعهم من تولي المناصب(١١)، وفي مقدمتها قرار الإمبراطور فالنتيان الثالث Valientinian III (٤٢٥–٤٥٥م) الذي يقضي بمنع اليهود من تولي المناصب العامة، فلا يجوز أن يقوم هؤلاء الضالين بخدمة المسيحيين.(١٢) ومن الناحية القضائية سُمح لليهود بالفصل في قضاياهم الدينية أمام رجال دينهم، أما القضايا المدنية فيخضعون فيها للقانون الروماني باعتبارهم مواطنيين رومانيين.(١٣)

كما مُنع اليهود من امتلاك عبيد مسيحيين، حيث كانت تلك المسألة سببًا في الخلاف الدائم والتوتر بين الطرفين مما دفع السلطات الإمبراطورية أن تشن نضالًا واسع المدي لمنع امتلاك اليهود لعبيد مسيحيين؛ خوفًا من تحولهم إلى اليهودية، وأصدرت العديد من القوانيين التي تجرم ذلك.(١٤) وعلى الرغم من أن الإمبراطور هونوريوس Honorius (٣٩٥-٤٢٣م) قد سمح لليهود عام ٤١٥م بامتلاك عبيد مسيحيين شريطة أن يحتفظ هؤلاء العبيد بعقيدتهم المسيحية، إلا أن الأمور لم تستقر، فصدر قانون عام ٤٢٣م يجرم امتلاك اليهود لعبيد مسيحيين، معتبرًا ذلك تدنيس لهم، وعليه من يخالف ذلك يعرض نفسه للمحاكمة.(١٥)

وبالنسبة للجانب الديني، كان اليهود أكثر حظًا، حيث كفل لهم الأباطرة حرية العبادة ، وسمحوا لهم بحرية التصرف أيام السبت، فلا يجوز الزامهم بأي أعباء أو استدعائهم للمحاكمة في ذلك اليوم، كما حظر الأباطرة من التعدي على معابدهم أو انتهاك حقوقها ومن يقدم على ذلك يعرض نفسه للمحاكمة،(١٦) وعلى الرغم من الحرية الدينية التي كفلها الأباطرة لليهود، فقد منعهم من بناء معابد جديدة والابقاء فقط على معابدهم القديمة دون توسيعها أو زخرفتها.(١٧) وبذلك؛ فعلى الرغم من تقنين الأباطرة الرومان لحقوق اليهود في المجتمع، إلا أنهم لم يسمحو بالتعرض لهم أو لعبادتهم، وفقًا لسياسة دينية اتبعتها الإمبراطورية منذ مراسيم التسامح مع بدايات القرن الرابع الميلادي.

سياسة ثيودوريك الدينية تجاه اليهود:

أظهر ثيودوريك تسامحه مع اليهود – أعداء الدين المسيحي في نظر مسيحيي العصور الوسطى – وطبق سياسة المساواة في المعاملة بين جميع أفراد الشعب سواء كانوا يهود أو مسيحيين وطبق عليهم العقوبات حين ارتكاب الجرائم دون النظر إلى الديانة.(١٨)

حافظ ثيودوريك على عدم إساءة استخدام السلطة تجاه الأقليات الدينية، فكيفما حرص على عدم نشوب الصراع بين الأريوسيين والكاثوليك، حافظ على حقوق اليهود مع احترامه للوائح والقوانين المنصوص عليها فى قوانين ثيودوسيوس، وكانت نية ثيودوريك، ألا يشعر اليهود بأنهم مجبرون على النضال من أجل الوجود ولكن يجب أن يعتبروا أنفسهم عناصر نشطة داخل المملكة، والتي كانت حكومتها على دراية كاملة باحتياجات مواطنيها، خاصة أن اليهود قد ظلوا على وضعهم كمواطنيين رومانيين عقب انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، وكذلك في ظل

مملكة القوط الشرقيين.[١٩] وعليه؛ جدد لهم الامتيازات القديمة الممنوحة لهم من خلال القوانيين الرومانية، وكفل لهم الحماية ضد تعسف المسيحيين، وجاء نص أولى مراسيمه:

"يجب مراعاة الامتيازات التي تمنحها القوانين المتعلقة باليهود، ويجب بالضرورة أن يكون لمن يتشاجرون فيما بينهم ويعيشون وفقًا لقوانينهم الخاصة القضاة الذين يحترمونهم"[٢٠].

ولهذا المرسوم أثره في مسار العلاقة بين الكاثوليك واليهود؛ ففي الوقت الذي كان فيه الكاثوليك يحملون الضغينة والكراهية خفيةً في قلوبهم تجاه الأريوسية، وجدوا الأريوسيين على العرش يبدون التسامح مع الكنيسة الكاثوليكية، وعليه؛ بحثوا عن طريق آخر لإخراج غضبهم فصبوه على اليهود بإثارة الشغب والاضطرابات ضدهم في رافيينا Ravenna [٢١] وجنوة وميلان وروما، فقد حرص الكاثوليك على إفشال سياسة ثيودوريك التسامحية بشتى الطرق.[٢٢]

١- يهود رافيينا:

تصدى الملك ثيودوريك بشدة لحالات الفوضى والاضطرابات التي مارسها المسيحيون تجاه اليهود؛ فأثناء تواجده في فيرونا Verona[٢٣] خوفًا من هجمات البرابرة شمال الألب نشب صراع بين مسيحي ويهود رافينا؛ لأن اليهود قد سخروا من طقوس التعميد المسيحية بإلقاء الأشخاص في النهر كما سخروا من عشاء الرب، ومن ثم اشتعل المسيحيون غضبًا، وتجاوزوا سلطة الملك ايثوريك Ithoric الابن غير الشرعي لثيودوريك -وكان قد كلفه بإدارة أمور البلاد آنذاك- وأقدموا على حرق المعابد اليهودية وشاركهم الأسقف بطرس Peter-أسقف المدينة- وبالتالى أسرع اليهود إلى فيرونا حيث يقيم الملك واشتكوا أمامه المسيحيين، وقد أمر الملك على الفور بضرورة إعادة بناء المعابد المتضررة بأيد كل من شارك في حرقها، والذين ليس لديهم المال الكافي للمساهمة تقرر جلدهم في شوارع المدينة بعد أن يعلن عن جريمتهم وينادي بها في الشوارع[٢٤]، وبطبيعة الحال فقد أثار ردة فعل الملك ثيودوريك غضب الرومان المسيحيين فى رافينا وأصبح بداية لأشعال النار بين الطرفين[٢٥]. ومن هذا وذاك تتضح قوة رد فعل الملك ثيودوريك وإصراره على تطبيق سياسة التسامح الديني تجاه الأقليات الدينية، وهو الأمر الذي ربما مرجعه إلى بقاءه في القسطنطسنية لمدة عشر سنوات تشبع فيها بثقافات خلقت بداخله طبيعة مغايرة عن نظرائه من الجرمان.

٢- يهود جنوة وميلان:

خشى اليهود في جنوة على حقوقهم في ظل المملكة الجرمانية الجديدة وأرسلوا إلى الملك ثيودوريك مطالبين بتجديد امتيازاتهم القديمة؛ وقد استجاب لهم الملك ثيودوريك وقام بتجديد الامتيازات الممنوحة للمجتمعات اليهودية من قبل الأباطرة الرومان وخاطبهم قائلًا:

"**الطريق الصحيح للمواطنة هو احترام القانون، هذا هو الذي يجعل الحياة في المجتمعات ممكنة، ويفصل الإنسان عن البهائم. لذلك فإننا نوافق على طلبكم بكل سرور لتجديد جميع الامتيازات التي منحتها العصور القديمة للمجتمعات اليهودية، لأنه في الحقيقة رغبتنا الكبيرة في أن تظل قوانين القدماء سارية المفعول لضمان التبجيل. كل ما وجد أنه يؤدي إلى المواطنة يجب أن يُنفذ بتفاني دائم**[٢٦]".

وفي خطاب آخر سمح لهم بتجديد معابدهم القديمة مع الحفاظ على حدودها وزخرفتها القديمة وخاطبهم قائلًا:

"**يُسمح لليهود بسقف جدران معابدهم القديمة، لكن لا يجوز لهم توسيعها خارج حدودها القديمة، أو إضافة أي نوع من الزخرفة وتمنح هذه الإجازة على أساس أنها لا تتعارض مع قانون الثلاثين عامًا القديم.**

لماذا تريد ما يجب أن تتجنبه؟ في الحقيقة نعطي الإذن الذي كنتم تتوقون إليه، لكننا نلوم بشكل مناسب رغبة عقولكم الضالة. لا يمكننا أن نأمر بدين، لأن لا أحد يجبر على الإيمان ضد إرادته[٢٧]".

وفي ميلان؛ عندما اشتكى اليهود من تدخل الكاثوليك في شئونهم وتعديهم على معابدهم، وجه ثيودوريك تحذيراته إلى المسيحيين بعدم التعرض لليهود، ومن جانب آخر؛ حذر اليهود من التعدي على ممتلكات الكنيسة هناك، وقد خاطب اليهود قائلًا:

"**من أجل الحفاظ على المواطنة، لا ينبغي إنكار فوائد العدالة حتى لأولئك الذين يُعترف بأنهم تائهون عن الطريق الصحيح في أمور الإيمان.**

أنتم تشتكون أنكم كثيرًا ما تتعرضون للهجوم التعسفي وأن الحقوق المتعلقة بمعابدكم الخاصة يتم تجاهلها، لذلك؛ تعبيرًا عن تسامحنا نمنحكم الحماية اللازمة، ونقرر أنه لا يجوز لأي كنسي أن يتعدى على امتيازات معابدكم أو يتدخل في شئونكم الخاصة. لكن دع الطائفتين

تتباعدان، لأن عقيدتيهما مختلفة. وأنتم من جانبكم لا تحاولون القيام بأي شيء فذ ضد حقوق الكنيسة المذكورة. يجب الالتزام بقانون الثلاثين عامًا القديم لمصلحتك أيضًا.

ولكن لماذا يا معشر اليهود، تطلبون السلام والهدوء على الأرض، بينما لا تجدون الراحة الأبدية؟"(٢٨).

ونلاحظ في خطابات ثيودوريك إلى يهود جنوه وميلان تأثره بروح مسيحي العصور الوسطى المعادية لليهود، ويتضح ذلك من خلال انتقاده لليهود واليهودية في أكثر من موقع؛ فقد خاطبهم بأصحاب العقول الضالة وبأنهم ليسوا على الطريق الصحيح، بالإضافة إلى استنكاره طلبهم للسلام على الأرض بينما لم ينعموا به في حياتهم الأبدية.

ومن اللافت للنظر أن هذا الاستنكار أو الانتقاد لم يثر غضب اليهود، وربما يرجع سبب ذلك إلى حرصهم على مصالحهم السياسية والمجتمعية أكثر من غيرتهم على ديانتهم، فلا شئ يغضبهم طالما حقوقهم لم تمسسها يد(٢٩).

ويمكن اعتبار ذلك الانتقاد دعوة غير مباشرة لتنصير اليهود نظرًا لاختلاف المذهب بين القوط والرومان؛ فضلًا عن إعلان ثيودوريك حرية العقيدة في خطابه إلى يهود جنوة "**لا يمكننا أن نأمر بدين**"، وهنا أظهر ثيودوريك حنكته السياسية وآثر الدعوة إلى المسيحية بشكل عام وغير مباشر، وفي الوقت ذاته لا يتناقض مع مبادئه المعلنة عن حرية العقيدة.

٣- يهود روما

لم يصمت الملك ثيودوريك عندما علم بخبر حرق المعبد اليهودي في روما وأمر بضرورة التحقيق في الواقعة ومعاقبة المتورطين، وأرسل لكونت المدينة قائلًا:

"**يجب التمسك بالآداب الأخلاقية التي تميز مدينة روما. فالوقوع في حماقات الاضطرابات الشعبية، والشروع في حرق مدينتهم ، ليس من الأخلاق الرومانية،لكن الكونت أريجرن Arigern أخبرنا أن سكان روما الغاضبين من العقوبة التي فرضت على بعض الخدم المسيحيين الذين قتلوا أسيادهم اليهود، قد ثاروا في حالة من الغضب وأحرقوا معابدهم اليهودية حتى الإبادة، وصبوا غضبهم من مستخدميها على تلك المباني الطاهرة.**

كن قنوع بالتحقيق في هذا الأمر، ومعاقبة مسببي الاضطرابات بشدة، الذين ربما يكونون قليلي العدد. وفي الوقت نفسه تحقق في الشكاوى المرفوعة ضد اليهود ، وإذا وجدت أن هناك أي أساس لها ، عاقب وفقًا لذلك(٣٠)".

يتضح من الخطاب السابق امتلاك اليهود لخدم وعبيد مسيحيين بالرغم من القوانيين الرومانية التي تمنع ذلك ولكن من الواضح أن تلك القوانين لم تطبق بانتظام مما أدى إلى تفاقم الموقف بين الطرفين(٣١). وبذلك؛ فقد استمر التوتر الناجم عن تلك المسألة في ظل مملكة القوط الشرقيين ونستدل على ذلك من خلال رسالة ترجع إلى آواخر القرن الخامس الميلادي أرسلها شخص يهودي يدعى جودث Judic إلى مجموعة من أساقفة روما وعلى رأسهم جلاسيوس Glassius رئيس الأساقفة (٤٩٢-٤٩٦م)، وتحتوي تلك الرسالة على شكوى من اليهودي جودث بهروب أحد عبيده واتخاذه من الكنيسة في فينفريتا Venafrana مأوى له، وطالب باسترداد عبده، في حين ادعى العبد أنه مسيحي المولد وأنه قد تم ختانه طبقًا للطقوس اليهودية مؤخرًا من قبل سيده، وإجباره على اعتناق اليهودية.(٣٢)

وفي حقيقة الأمر فقد كانت القضية حاسمة وشائكة حيث إنها تمس العقيدة المسيحية والقانون الروماني على حد سواء؛ فمن المحتمل أن يكون العبد يهوديًا ويحاول الهروب من جريمة بادعائه المسيحية، وطبقًا للقانون الروماني لا يجوز قبول اليهود الهاربين داخل الكنائس ومن جانب آخر؛ فربما العبد مسيحي بالفعل وأجبره سيده على اعتناق اليهوديه وقام بختانه.(٣٣) لذا؛ حرص جلاسيوس على الموازنة بين العبد وسيده بغض النظر عن الدين، ولم يحكم في القضية، وأمر الأساقفة على البحث فيها باجتهاد ولم تمدنا المصادر بالحكم النهائي في القضية.(٣٤)

وفي الواقع؛ فإن قضية امتلاك اليهود للعبيد المسيحيين لم تؤرق إيطاليا فحسب وإنما شملت مملكة القوط الغربيين في إسبانيا، فقد أصدر مجمع طليطلة الثالث ٥٨٩م قراره بمنع اليهود من امتلاك عبيد مسيحيين ولكن لم تطبق هذه القوانيين بحزم(٣٥) وتعددت القوانيين الصادرة بشأن هذه القضية مؤكدة على قرار المجمع، وأضافت إليه تحرير العبيد المسيحيين الذين تم ختانهم بالاكراه وردهم للمسيحية.(٣٦)

وفي حقيقة الأمر؛ لم تكن سياسة ثيودوريك تجاه اليهود سوى تأكيدًا لسياسة الأباطرة الرومان؛ إذ التزم إلى حد كبير بما صدر في قوانيين ثيودوسيوس وجعلها مرجعًا له في تشريعاته لليهود، وحرص على التباعد بين اليهود والمسيحيين والفصل بينهما مع الحفاظ على التوازن في المعاملة بين الطائفتين؛ فبينما تعهد ثيودوريك بحماية اليهود ومعابدهم وأمر المسيحيين بعدم التعرض لليهود أو إثارة الفتنة ضدهم أو ارتكاب أعمال العنف ضدهم أو نهب ممتلكاتهم، حظر

اليهود من التعرض للكنائس وممتلكاتها. ويدل ذلك على قوة ثيودوريك واحكام قبضته على شعبه بجميع طوائفه وإصراره على تطبيق سياسة واحدة تجاه جميع الطوائف الدينية.

وفي الواقع لم تطبق القوانيين بشكل صارم في عهد الملك ثيودوريك، وتمتع اليهود ببعض التجاوزات، كقضية امتلاك اليهود لعبيد مسيحيين التي أشارت إليها الدراسة في الصفحات السابقة، كما سمح ثيودوريك بتولي اليهود المناصب العامة حيث عين سيماكوس Simmacus اليهودي كأحد وزرائه(٣٧)، بينما كان الإمبراطور فالنتنيان الثالث قد منع اليهود من تولي الوظائف العامة داخل الإمبراطورية حتى لا تتاح لهم الفرصة للتحكم في المسيحيين(٣٨). ولعل حالة سيماكوس كان لها وضعية خاصة بالشخص نفسه لما يتمتع به من قدرات اقنعت ثيودوريك بتعيينه في هذا المنصب.

ونستنتج مما سبق؛ حرص ثيودوريك الشديد على عدم إثارة غضب الرومان الكاثوليك بإصدار القوانيين المختلفة بشأن اليهود أو منحهم أية حقوق جديدة، وإنما اكتفى بإصدار بعض القرارات فقط؛ إدراكًا منه باكرًا بصعوبة تقبل الشعب الروماني الكاثوليكي ذوي الأصل العريق حكم دولة أريوسية وملك متبربر وإن كان نائبًا عن إمبراطور الشرق كما أعلن ثيودوريك منذ دخوله إيطاليا(٣٩)،كما حافظ ثيودوريك على أن يظل اليهود على وضعهم في مرتبة أدنى من المسيحيين وأماكن عبادتهم أصغر وأقل عظمة منعًا لإثارة الرومان الكاثوليك ضده.(٤٠) فضلًا عن رغبته في الاستيطان وتكوين مملكة مستقرة، وقد ظهر ذلك جليًا في سياسته التي اتبعها منذ أن دانت له البلاد؛ والتي أوضحها الباحث باختصار في الصفحات الأولى من الدراسة.

والجدير بالذكر؛ لم يكن لملوك القوط الشرقيين عقب وفاة الملك ثيودوريك أى قوانين تخص اليهود؛ نظرًا لانشغالهم بوراثة العرش، والشئون الخارجية للدولة، أو لإيمانهم بصحتها والدليل على ذلك أن مساندة اليهود للقوط ضد القوات البيزنطية جاءت في السنوات التالية عقب وفاة الملك ثيودوريك.

النتائج المترتبة على سياسة ثيودوريك تجاه اليهود:

حققت سياسة ثيودوريك تجاه اليهود نجاحًا كبيرًا وأثبت اليهود ولائهم للملك القوطي؛ حيث أدت سياسة ثيودوريك تجاه اليهود إلى نتائج إيجابية، وتمكن من كسب اليهود فى صفوف القوط، وفضلوا حكم القوط عن حكم الرومان أنفسهم(٤١) والدليل على ذلك أنه عندما غزت

القوات البيزنطية بزعامة بلزاريوس Belisarius أسوار مدينة نابولى عام ٥٣٦م، ساند اليهود صفوف القوط، وتعهدوا بتوفير كافة المواد الغذائية لسكان المدينة الأمر الذي أدى إلى فشل بلزاريوس فى الاستيلاء عليها(٤٢)، وقد كانت نابولي آنذاك مركزًا نشطًا للتجارة وسكنها العديد من التجار من الشرق وخاصة اليهود(٤٣).

وثمة موقف آخر ساند فيه اليهود القوط؛ عندما جدد بلزاريوس الهجوم على مدينة نابولي صمد اليهود في الدفاع عن أسوارها من ناحية البحر ببسالة وإصرار؛ لأنهم يعلمون عاقبة استيلاء البيزنطيين على المدينة، وما سيحل بهم من قبل البيزنطيين بسبب تصديهم لمحاولتهم الأولى في الاستيلاء على المدينة دون خوض المعارك(٤٤).

ونلاحظ مما سبق تحمل اليهود لمشاق القتال والحرب لمقاومة القوات البيزنطية على الرغم من أن الإمبراطور هونوريوس كان قد أصدر قرارً عام ٤٠٤م أقر من خلاله منع اليهود من الانضمام للجيش(٤٥)، ولم يعتبر اليهود آنذاك القرار حرمانًا بل امتيازًا. فما الذي دفعهم لحمل السلاح والقتال مساندة للقوط الشرقيين؟

من المحتمل أن السبب وراء مساعدة اليهود للقوط الشرقيين في مواجهة القوات البيزنطية يكمن في القوانين التي أصدرها الإمبراطور جستنيان ضد اليهود في شمال أفريقيا بعد أن نجح في القضاء على مملكة الوندال وإخضاع الشمال الإفريقي لسيطرته عام ٥٣٣م(٤٦). فقد اعتبر جستنيان اليهود من المهرطقين وأكد على عدم توليهم أية وظائف عامة أو امتلاكهم عبيد مسيحيين، كما لم يسمح ببقاء المعابد اليهودية، وأمر بهدمها وإعادة بنائها على الطراز الكنسي، وحذر اليهود من ممارسة أية طقوس تشبه الطقوس الكنسية(٤٧). وبالتالي خشى يهود إيطاليا من تطبيق مثل هذه القوانيين مما يضر بعبادتهم وحياتهم على وجه العموم.

وفضلًا عن خوف اليهود من قرارات جستنيان تجاههم، يتضح أن اليهود قد بدأوا يتعافون من عنف المسيحيين ضدهم ويشعرون بنوعًا من الاستقرار، حينما أعاد الملك ثيودوريك التأكيد على بعض الحقوق الممنوحة لهم من قبل الأباطرة الرومان والتي من المحتمل عدم الالتزام بها أواخر الإمبراطورية الرومانية وفي عهد مملكة أودآكر في إيطاليا، بالإضافة إلى تصديه بشدة لممارسات العنف ضد اليهود(٤٨).

وبناء على ما سبق؛ يُعد ثيودوريك الملك الوحيد بين ملوك الجرمان الذي أظهر قدرًا كبيرًا من التسامح، وعدم الميل إلى اضطهاد اليهود(٤٩). ومن ناحية أخرى؛ أن يهود إيطاليا فى

حكم مملكة القوط الشرقيين كانوا أكثر حظًا من أقرانهم يهود مملكة القوط الغربيين بإسبانيا الذين فرض عليهم الكثير من القيود في ظل قوانين ملوك القوط خاصة بعد أن تحولوا من المذهب الآريوسي إلى المذهب الكاثوليكي(٥٠).

ففي الواقع كانت الآريوسية أكثر رأفة من الكاثوليكية في تعاملها مع اليهود في إسبانيا حيث نعم اليهود بمرحلة من التسامح والرخاء في ظل الدولة القوطية الآريوسية، فمن جانب مارس اليهود شعائرهم الدينية وطقوسهم بحرية(٥١)، ومن جانب آخر؛ فقد منعوا من بناء معابد جديدة وتولي المناصب العامة في الدولة ولكن لم تُنفذ هذه القوانيين بشكل صارم في معظم الأوقات ولذلك لم يعتبرها اليهود نوعًا من الاضطهاد.(٥٢)

أما عن وضع اليهود بعد تحول القوط الغربيين إلى الكاثوليكية فقد كانت أكثر سوءًا من ذي قبل؛ إذ مُنِعوا من ممارسة طقوسهم وعاداتهم الخاصة، وفُرِض عليهم إجازة يوم الأحد بدلًا من السبت، فضلًا عن منعهم من تولي المناصب العامة التي تتيح لهم الفرصة للتحكم في المسيحيين.(٥٣)

وبناء على ما سبق؛ فقد تشابهت أوضاع اليهود في مملكة القوط الشرقيين بأوضاع قرنائهم في مملكة القوط الغربيين الأريوسية حيث تمتعوا بقسط من التسامح الديني، وظلوا على وضعهم حتي سقوط مملكة القوط الشرقيين بينما ساءت أوضاعهم وتعرضوا للاضطهاد عقب تحول القوط الغربيين إلى الكاثوليكية.

إذا عُقِدت المقارنة بين أوضاع اليهود في ظل الأباطرة الرومان ومملكة القوط الشرقيين ومملكة القوط الغربيين الآريوسية نجد أن حقوقهم وامتيازاتهم قد وحدت في الثلاث فترات حيث سُمِح لليهود بحرية العبادة وممارسة طقوسهم الخاصة والاعتراف بأجازة أيام السبت لدى اليهود، ومن جانب آخر مُنِعوا من بناء معابد جديدة وتولي المناصب العامة في الدولة وامتلاك عبيد مسيحيين، ويؤكد ذلك التشابه أن قوانيين ثيودوسيوس كانت مرجعًا لملوك الجرمان الأريوسيين في مملكتي القوط الشرقيين والغربيين.

الخاتمة

أراد ثيودوريك حفظ السلام فى مملكته وتطبيق القانون على الشعب بأكمله دون تفرقة عنصرية أو دينية؛ فحيثما منح اليهود حرية العبادة والحماية، حذرهم من التعرض لممتلكات الكنيسة. وقد صدرت خطابات ثيودوريك إلى اليهود جميعها بما تحمله من قرارات بسبب أحداث محددة ووجهت لمقاطعات بعينها ولم تتخط كونها رد فعل من حاكم البلاد للحد من أحداث الشغب والاضطرابات في مملكته. كما يلاحظ أن ثيودوريك لم يصدر أية قوانين تخص اليهود، وقام بتعميمها في جميع أنحاء مملكته، واكتفى بإصدار مجموعة من القرارات.

ويُلاحظ من الخطابات السابقة، أن اليهود لم يطالبوا الملك ثيودوريك بمنحهم أية امتيازات أو حقوق جديدة، إنما اكتفوا بالتأكيد على حقوقهم القديمة، ويدل ذلك على قناعتهم بما كفلته لهم القوانين الرومانية من حماية وحقوق. وعلى صعيد آخر، فقد حرص ثيودوريك على الحفاظ على اتباع القوانيين الرومانية وعدم تغييرها منعًا لإثارة غضب الرومان.

الهوامش

([1]) Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, trans. Ch. Mirrow, (Princeton, 1908), p. 86.
([2]) Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, pp. 92-94.
([٣]) أدوآكر: هو أحد القادة الجرمان الذي تزعم العناصر الجرمانية الثائرة في الجيش الروماني، وقام بعزل الإمبراطور رومولس أغسطولس Romulus Augustulus (٤٧٥-٤٧٦م)، ثم أسقط الإمبراطورية الرومانية الغربية في روما عام ٤٧٦م، واعتلي عرشها كنائب عن الإمبراطور الشرقي، واطلق على نفسه ملك الجرمان في إيطاليا، ودام حكمه ثلاثة عشر عامًا (٤٧٦-٤٨٩م)، حينما حل محله مملكة القوط الشرقيين ، انظر:-
Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, pp. 75, 94.
([4]) Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, p. 94.
([5]) Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, p. 42.
([٦]) السيد الباز العريني، *تاريخ اوروبا في العصور الوسطى*، لبنان، ١٩٨٦، ص ١١٤؛ محمد محمد مرسي الشيخ، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ٢٠٠٠م، ص١٨٠.
([٧]) السيد الباز العريني، *تاريخ اوروبا في العصور الوسطى*، ص ١١٧؛ محمد محمد مرسي الشيخ، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ص١٦٦.
([8]) Rutgers., L.,& Bradbury., S., "The Diaspora, C 235-638", in*: The Cambridge history of Judaism*, Vol.4, Katz., T., S.,(ed.) (Cambridge University 2008),p. 492.
([9]) Work, I., "The jews in western society: A Study of his social, political, and economic position", PH.D Diss., University of Southern California, 1939,p. 86.
([10])*The Theodosian Code and Novels and the Sirmonian Contitution*, trans. C. Pharr, CJR 1, (New York, 1951), pp. 356-366.
([11]) *The Theodosian Code*, pp. 469-470.
([12]) *The Theodosian Code*, p. 471.
([13]) *The Theodosian Code*, p. 39.
([١٤]) صدر قرار عام ٣٣٦م بتحرير أي عبد مسيحي تم شراءه أو ختانه من قبل اليهود، ثم صدر قانون آخر عام ٣٣٩م يحمل المضمون نفسه.
The Theodosian Code, pp. 64, 471.
([15]) *The Theodosian Code*, p. 471.
([16]) *The Theodosian Code*, pp. 45, 210.
([17])*The Theodosian Code*, p. 471.
([18]) Hoding, Th., *Italy and her invaders*, Vol. 3,(Oxford, 1885), p. 490.
([19]) Saitta., B., "The Ostrogothis in Italy", (POL/S. Revista de ideas y formas políticas de la Antigüedad Clásica 11, 1999), pp. 197-216, p. 207; Cohen., S., "Religious Diversity", in: *A Companion to Ostrogothic Italy*, ed. Arnold., J.J., Jornli., S., Sessa., K.,leiden, (Boston, 2015), pp. 503-532, p. 506.
([20]) *Edictum Theoderici regis* , ed. S. A. Fontibus, **MGH LL 5.** (Hannover, 1875-1889), p. 166.
([٢١]) مدينة ايطالية، وقد أصبحت مقرًا رئيسيًا للأباطرة الرومان منذ عام ٤٠٤م وحتي سقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦م، ثم اتخذها الملك ثيودوريك عاصمة لمملكة القوط الشرقيين بإيطاليا، انظر:
Hodkin, T., Ahaby., T., "Ravenna", **EB**. 22, p. 925.
([22]) Work, "The jews in western society", p. 87;

جيبون.، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد سليم سالم، مراجعة وتقديم: أحمد نجيب هاشم، جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٢، ١٩٩٧، ص ٨٦-٨٧.

(٢٣) مدينة شمال إيطاليا، انهزم بها ادواكر على يد الملك ثيودوريك ملك القوط الشرقيين، ثم استولى عليها اللومبارديون عام ٥٦٨م، انظر:

Middleton., J.H.,., T., "Verona", **EB**. 27, p.1033.

(24) *Anonymi Valesiani pars posterior*, ed. T. Mommsen, **MGH,Auctores Antiquissimi (MGH Script Auct. ant 9)**, (Berlin 1892), pp. 306–28, p. 326; Hoding, *Italy and her invaders*, p. 298.

(25) Hodgkin,Th., *Theodoric the Goth, the Barbarian Champion of Civilisation*, (London, New York,1891), pp. 260-262.

(26) Cassiodorus, *Letters of Cassiodorus*, Being a condensed translation of the Variae Epistolae of Magnus Aurelius Cassiodorus Senator, trans. Th. Hodgking, (London 1886), p. 251; *Cassiodori Senatoris Variae*, ed. Th. Mommsen, **MGH,Auctores Antiquissimi (MGH Script Auct. ant 12)**, (Berlin 1894), p.133.

(27) Cassiodorus, *Letters of Cassiodorus*, p. 286; *Cassiodori Senatoris Variae*, p. 163.

(28) Cassiodorus, *Letters of Cassiodorus*, 185; *Cassiodori Senatoris Variae*, 61.

(29) Hoding, *Italy and her invaders*, p. 490

(30) Cassiodorus, *Letters of Cassiodorus*, pp. 256-257; *Cassiodori Senatoris Variae*, p. 133.

(31) *Cohen., S.,* "Religious Diversity", pp. 503-532, 507.

(32) *Glasii Papar Epistolarum Fragmenta*, **Epistolae Romanorum Pontificum Genuinae**, ed. A. thiel, Vol. 1, Brunsberg, 1868, pp. 505-506.

(33)Rutgers & Bradbury, "The Diaspora, C 235-638", p. 508.

(34) *Glasii Papar Epistolarum Fragmenta*, pp.506-507.

(٣٥) خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود فى الدولة العربية الإسلامية فى الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ=٧١١-١٤٩٢م)، فلسطين – غزة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص ٦١.

(36)The Visigothic Code, trans by S.P. Scott, Boston, 1910,pp. 369, 392.

(37) *Anonymi Valesiani pars posterior*, p. 328.

Code, p. 480.*The Theodosian*) 38(

(39) Jordanes, *The Origin and Deeds of the Goths*, p. 42.

(40) Cohen., S., "Religious Diversity", p. 506.

(41) Hoding, *Italy and her invaders*, p. 491.

(٤٢) بروكوبيوس، الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، الجزء الاول، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٧٢.

(43)(Lafferty.,S., "The *Edictum Theoderici*: A Study of a RomanLegal Document from Ostrogothic Italy", **Ph.D**., (University of Toronto, 2010), p. 252.

(٤٤) بروكوبيوس، *الحروب القوطية*، ص ٧٩.

(45)*The Theodosian Code*, p. 469.

(٤٦) بروكوبيوس، *التاريخ السري-القرن السادس الميلادي*، ترجمة/ د. صبري أبو الخير سليم، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ص ٢٤.

([47]) Justinian, *The Novels of Justinian*, trans. Miller., D., Sarris.,P., Vol. 1,(Cambridge, 2018), p. 354-356.

([48]) Rutgers., L.,& Bradbury., S., "The Diaspora", p. 506.

([٤٩]) محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص١٦٦ .

([٥٠]) خالد يونس، *اليهود فى الدولة العربية الإسلامية*، ص ٥٥.

([٥١]) خالد يونس، *اليهود فى الدولة العربية الإسلامية*، ص ٥٥.

([٥٢]) خالد يونس، *اليهود فى الدولة العربية الإسلامية*، ص ٥٦.

([53]) *The Visigothic Code*, pp. 367-369, 385-387, 402.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأجنبية:

–*Anonymi Valesiani pars posterior*, ed. T. Mommsen, **MGH,Auctores Antiquissimi (MGH Script Auct. ant 9)**, (Berlin 1892).

–*Cassiodori Senatoris Variae*, ed. Th. Mommsen, **MGH,Auctores Antiquissimi (MGH Script Auct. ant 12)**, (Berlin 1894).

–**Cassiodorus**, *Letters of Cassiodorus*, Being a condensed translation of the Variae Epistolae of Magnus Aurelius Cassiodorus Senator, trans. Th. Hodgking, (London 1886).

–*Edictum Theoderici regis* , ed. S. A. Fontibus, **MGH LL 5.** (Hannover, 1875-1889).

–*Glasii Papar Epistolarum Fragmenta*, **Epistolae Romanorum Pontificum Genuinae**, ed. A. thiel, Vol. 1, Brunsberg, 1868.

–**Jordanes**, The Origin and Deeds of the Goths, trans. Ch. Mirrow, (Princeton, 1908).

–**Justinian**, *The Novels of Justinian*, trans. Miller., D., Sarris.,P., Vol. 1,(Cambridge, 2018).

–*The Theodosian Code and Novels and the Sirmonian Contitution*, trans. C. Pharr, CJR 1, (New York, 1951).

–The Visigothic Code, trans by S.P. Scott, Boston, 1910.

ثانيًا: المصادر العربية والمعربة:

- بروكوبيوس، *التاريخ السري-القرن السادس الميلادي*، ترجمة/ د. صبري أبو الخير سليم، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة، ٢٠٠١م).
- ـــــــــــــــــــــــــــــ، الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، الجزء الاول، دار الكتاب الجامعي، القاهرة،١٩٨٧م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

–**Cohen., S**., “Religious Diversity”, in: *A Companion to Ostrogothic Italy*, ed. Arnold., J.J., Jornli., S., Sessa., K.,leiden, (Boston, 2015).pp. 503-532.

–**Hodgkin,Th**., *Theodoric the Goth, the Barbarian Champion of Civilisation*, (London, New York,1891).

–**Hoding, Th**., *Italy and her invaders*, Vol. 3,(Oxford, 1885).

–**Lafferty.,S**., “The *Edictum Theoderici*: A Study of a RomanLegal Document from Ostrogothic Italy”, **Ph.D**., (University of Toronto, 2010).

–**Rutgers., L.**,& Bradbury., S., “The Diaspora, C 235-638”, in*: The Cambridge history of Judaism*, Vol.4, Katz., T., S.,(ed.) (Cambridge University 2008).

–**Saitta., B.**, "The Ostrogothis in Italy", (POL/S. Revista de ideas y formas políticas de la Antigüedad Clásica 11, 1999).

–**Work, I.**, “The jews in western society: A Study of his social, political, and economic position”, PH.D Diss., University of Southern California, 1939.

رابعًا: المراجع العربية:

- جيبون.، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد سليم سالم، مراجعة وتقديم: أحمد نجيب هاشم، جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٢، ١٩٩٧م.
- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود فى الدولة العربية الإسلامية فى الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ=٧١١-١٤٩٢م)، فلسطين – غزة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- السيد الباز العريني، *تاريخ اوروبا في العصور الوسطى*، لبنان، ١٩٨٦.
- محمد محمد مرسي الشيخ، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ٢٠٠٠م.